معركة القزويني في الأزهر

للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

نشر الأستاذ الكاتب الوهوب عباس خضر رأيه في هذه المعركة ؛ وقد تفضل أستاذنا الجليل فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدي ، فنشر في الرسالة تعقيبا على كلمته . ويبدو أن أستاذنا الجليل يريد أن ينقل المعركة إلى ميدان الرسالة الغراء ، إذ بدأ فنشر رأيهم. وإني إنصافاً للحقيقة أضع أمام القراء الحقائق الآتية:

١ — ليس شرح الأستاذ الصعيدي الايضاح مقرراً في الكلية ، ولا شرحي أيضا .

٢ — للكثير من كبار الأساتذة في كلية اللغة كتب متعددة في علم واحد ومقررة واحدة ، فلم يؤد ذلك إلى أن يهاجم السابق اللاحق ولا العكس ؛ بل إني أثنيت في شرحي على الأستاذ الصعيدي ومجهوده في شرح الايضاح .

٣ — وأساتذتنا في الكلية يحرصون على إباحة حرية البحث والتأليف لطلبتهم ، فكيف يحجر أستاذ على زميله أن يؤلف في البلاغة لأن له كتابا فيها ؟

٤ — وعندما ظهر الجزء الأول من شرحي بدأني الأستاذ الجليل بالخصومة ، وطاف على الطلبة في الفصول ينبههم إلى أن كتابه هو المعتمد للدراســـة وكتابي مملوء بالأخطاء ثم نشر بيانا للطلبة سماه « تنوير لطلبة كليـة اللغة » يندد فيه بأخطاء مزعومة في الجزء الأول من شرحي .

٥ — وقال له كثير من الأساتذة : إنه يهتم في نقده مهما كان ، لأن هذا النقد لا يحمل على شيء أكثر من أنه دفاع عن كتاب .

٦ — ورأى أنه لا يصح أن يلحق بغباره أحد ، لأن له عشرين مؤلفا . والطريف أن أحد الأساتذة الأجلاء ذكر له أن هذا ليس موضعا للفخر ، لأن الذي ينقده — خفاجي — أكثر من عشرين كتابا بعضها مراجع ومصادر ، مع أنه أستاذ ناشيء .

٧ — وليت شعري بعد ذلك كله كيف انقلبت هذه المعركة العلمية إلى خصومة شخصية عند أستاذنا الجليل الشيخ الصعيدي ، فامتنع عن مصافحتي كلما مددت له يدا ، بل امتنع عن رد السلام كلما ألقيت عليه السلام؛ ونشرت مجلتا الرسالة عنه أنه: « مهاجم أدبية » فنشر ردا عليه باسم مستعار لطالب زعم أنه من كلية الآداب ؛ ونشر أخيرا كتابا مطولا سماه « دراسة لكتاب في البلاغة » ، ظن أنه بهذا الكتاب يهدم زميلا له ، فكان حجة عليه لا له .

٨ — وإني أعيذ القارىء من أن أطيل عليه ، وأكتفي بعض ملاحظات صغيرة أنشرها توضيحا لمذهب أستاذنا الجليل في إصلاح البلاغة :

١ — ذكر أستاذنا الجليل الجاحظ في شرحه ، فعرفه بأنه عمرو بن بحر الأصفهاني !! ونسب فيه بيت حافظ المشهور : « الأم مدرسة إذا أعددتها » لشوقي ؛ ورأى أن جميع الآراء والمذاهب البلاغية مماحكات لفظية ساقطة ؛ وأن الخلاف بين عبد القاهر والسكاكي في التقديم والتأخير مثلا جدل ممل ، إذ ليس بينهما نزاع حقيقي في التقديم وإفادته التخصيص أو التقوى ؛ وعبد القاهر عند أستاذنا الجليل اضطرب كلامه في البلاغة ، وكذلك أبو هلال . فإذا ما ذكرت الآراء والمذاهب البلاغية ووازنت بينها في شرحي كان ذلك عملا يستحق النقد من أستاذنا الجليل ؛ وكذلك إذا كتبت بعض بحوث جديدة عن نشأة البلاغة وعلمائها ومصادرها كان ذلك خطأ كبيرا مني لأنه يهدم مذهب أستاذنا الجليل في إصلاح البلاغة ؛ وإذا ما حققت الكلام على متعلقات الفعل ألامها مكسورة أم مفتوحة كان ذلك عملا لا داعي إليه في عصر الذرة ، وإذا ورد ذكر الكناية مثلا في علم المعاني فشرحت معناها في شرحي كان ذلك ذكرا للشيء في غير موضعه ، والبيت :

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه

صدره زيادة زدتها أنا على الايضاح كما يرى أستاذنا الجليل والطريف أن البيت موجود كما هو أيضا في شرحه هو على الايضاح

ذلك الوقت لدار فيها ذلك النقـــد فمضت المعركة القزوينية بريئة بفضل حكمة صاحبها ، ونزهته بصفحاتها على غير النقد البرىء .

عبد المتعال الصعيدي